كتاب

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية

لشرح

الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البرهان الجلي
الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي
رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

أخذت تعليقات هذا الكتاب من التعليقات التي علقت بها على النسخة المخطوطة مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين المتوفى عام ١٢٨٢ هجرية والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهما من أهل العلم ..

وحفظهم لكتاب الله فلهذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمة هم خـيرها وأكرمها على الله تعالى وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم .

فصـل

فصل في بعض الخصائص النبوية

في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السـند العظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شأنه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار الى اولها بقوله)) :

((وخصـه بذاك كالمقـام　　　وبعثه لسـائر الأنام))

((ومعجز القرآن والمعراج　　　حقا بلامين ولا اعوجاج))

الاولى خـاتم النبيين

((وخصه)) أي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليـه وسلم دون سائر الانبياء ((بذاك)) أي بكونه ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده لقوله تعالى (وخاتم النبيين) وذلك يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص بلا عكس ، ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انما يتعبد بشريعة نبينا صلى الله عليه وسـلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا يتعبد الا بهذه الشريعة أصولا وفروعـا فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بين أمته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله وبنظره في كتاب الله الذي هو القرآن وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي الى استنباط ما يحتاج اليه ايام مكثه في الارض من الاحـكام ، وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبـولها مما علم من شريعتنا لا يقال هذا نسخ لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مغيى الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا » فنزوله غاية لاقرار الكفار ببذل تلك الاموال ثم لا يقبل

الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدمنا ذلك قريبا •

الثانية المقــام المحمود

(والثانية) ما أشار اليها بقوله ((ك)) ما خصه الله سبحانه وتعالى بـ ((المقام)) المحمود وهو الشفاعة العظمى كما تقـدم الـكلام على ذلك ، وروي النسائي باسناد صحيح من حديث حذيفة رضى الله عنـــه قال : يجمع الناس فى صعيد واحد فأول مدعو محمد فيقول لبيك وســعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك المهدى من هديت عبدك وابن عبديك وبك واليك ولا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت - فهذا قوله : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وصححه الحاكم : قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمـر رضى الله عنهما الذى فى صحيح البخارى ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا • وأخرج البخارى أيضا عنه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العـرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضى الله بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقـة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم » وذلك لان ما رواه النسائى من حديث حذيفة رضى الله عنه كان مقدمة الشفاعة • قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى وروى ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن أبى هلال انه بلغه ان المقام المحمود الذى ذكره الله تعـالى ان النبى صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه ذلك أهــل الجمع ورجاله ثقـــات لكنه مرســل ، قال الحافظ ابن حجــر فى شرح تفســـير سورة الاسرا من صحيح البخارى : وقيل المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة وقيل اعطاؤه لواء الحمد ، وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد ، وقيل شفاعته رابع أربعة • انتهى • وتقدم فى الشفاعة مافيه كفاية والله تعالى أعلم

الثالثة عموم بعثته

((و)) الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم : بـ ((بعثه)) نبيا ورسولا ((لسائر)) أى جميع ((الانام)) كسحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع ، واختلف فى ارساله الى الملائكة على قولين أحدهما انه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جمع محققون وهو ظاهر كلام علمائنا ، قال ابن حمدان فى نهاية المبتدين ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة ، قال القاضى أبو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وأفضلهم نص عليه الامام احمد . انتهى . ونقل الاجماع على ذلك غير واحد والقول الثانى بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضا ورجحه الجلال السيوطى فى الخصائص والسبكى قبله وزاد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البارزى وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضا بذلك ، قال الحافظ السيوطى وأزيد الى ذلك أنه مرسل الى نفسه وتقدم كلام صاحب الفروع وغيره فى التنبيهات الملحقة تحت قوله

وكل انسان وكل جنة فى دار نار أو نعيم جنة

فعاوده . فان قلت قد علم يقينا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومها أمر اتفاقى اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه فى السفينة فالعموم صار ثانيا وبالعرض على أنه لم يبعث للجن ، والحاصل ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة جميع الاكوان ولا التفات لزعم بعض ملحدى اهل الكتاب من خصوص رسالته للعرب لان هذا مكابرة باطلة ومغالطة عاطلة لوجوه بديهية البرهان منها ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد أنزل عليه فى محكم القرآن (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ـ وما أرسلناك الا كافة للناس) ثم مقاتلته لاهل الكتاب وسبى ذراريهم واستباحة دمائهم وضرب الجزية

انتهى • وقال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين : المعجزة هى ماخرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدى ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على مايقاربها • وقال الفخر الرازى : المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة • قال العلامة التفتازانى : انما قال أمر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ويتناول عدمه أى عدم الفعل كعدم احراق النار ابراهيم عليه السلام • واحترزوا بقيد المقارنة للتحدى عن كرامات الأولياء والعلامات الارهاصية التى تتقدم البعثة النبوية وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الانبياء أو ما تقدم له فى السنين الماضية حجة لنفسه ، وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة ، وقول ابن حمدان وطابقها ليخرج ما اذا قال معجزتى نطق هذا الحجر فنطق بأنه كذاب مفتر ، وكما تفل مسيلمة فى بئر فغار ماؤها ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك • اذا عرفت هذا فقد أشار الى التنبيه على أن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله :

((ومعجزات خاتم الانبـــاء كثيرة تجل عن احصائى))

((ومعجزات)) جمع معجزة وتقدم تعريفها آنفا ((خاتم الانباء)) يعنى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم والانباء جمع نبى وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ((كثيرة))جدا ((تجل)) أى تعظم وتكبر ((عن احصائى)) أى عن عدى وحفظى لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التى ما سبقت لمثله من الانبياء ولـــم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته ، وأيضا لما كان نبينا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وترادف الآيات البينـــات والمعجزات • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى كتابه الجواب الصحيح : الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الانبياء قال ويسميها

(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وانى والله لا بد لى من طاعته والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن (كماجهدوا ـ١)ولا قوة الا بالله .

وقد اختلف العلماء فى من يلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الفضيلة منهم والمشهور واختاره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى انه ابراهيم خليل الرحمن لما ورد أن ابراهيم عليه السلام خير البرية خص منهمحمد صلى الله عليه وسلم باجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الانبياء والمرسلين ، قالالحافظ ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل ، والذى ينقدح فى النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام ، قال بعض العلماء لعل تقـــديم موسى عليه السلام لانه كلمه الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله وقال بعض المحققين: الواجب اعتقاده أفضلية الافضل على طبقمورد الحكم به تفصيلا فى التفصيلى واجمالا فى الاجمالى ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه الذى جعله سببا لأفضليته قلنا به والا أمسكنا عنه لأن التفضيل راجع لاختيار البارى سبحانه وتعالى لالعلة موجبة وجدتفى الفاضل وفقدت من المفضول ولله تعالى أن يفضل من عبيده من يشاء بما يشاء على من يشاء منهم وان كان كل واحد منهم كاملا فىنفسه بالغا من ذلك الغاية التى تليق به من غير أن يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحق ربوبيته وسيادته ، ولا شك أن الفاضل لا يجب أن يفضل بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضول لا يجب أن يجعل مفضولا لسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته وأن الله تعالى لا يحب أن يفاضل أحد بين احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين أن الصواب ما أشير اليه من الوقوف على المنقول بالنص القرآنى والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه تفصيلا واجمالا وبالله التوفيق . ثم بعد أولى العزم ((ف)) الواجب اعتقاده أن يليهم فى الافضلية سائر ((الرسل))المكرمين بالرسالة فهم أفضل من الانبياء عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة أفضل من النبوة ولو فى شخص واحد خلافا للعز ابن عبدالسلام

(١) من تفسير البغوى

فى قوله أن نبوة النبى أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ هى الايحاء بما يتعلق بالبارى جل شأنه من غير ارتباط له بالخلق اما مع تعدد المحل فلا خلاف فى أفضيلة الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم ((ثم)) الافضل بعد الرسل الكرام ((الانبيا)) عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون فى الفضيلة فبعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)) فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظنى صحيح واجمالا فيما علم منهم وعام حكمه اجمالا ولهذا قال ((بالجزم)) السديد والقطع المفيد للحكم المذكور من غير شك ولا ترديد حسبما تقدم على النهج السديد الا قوم ، وعلم مما ذكر ولا سيما من قوله بالجزم رد زعم من زعم ان الولى قد يبلغ درجة النبى كما يحكى عن الكرامية ، بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة ، قالوا لأنها تنبىء عن القرب والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام ، قالوا الا أن الولى لا يبلغ درجة النبى بخلاف العكس لأن نبوة النبى لا تكون بدون الولاية . وقد شنع شيخ الاسلام ابن تيمية على من يزعم ذلك فى محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى، وقال فى جواب المسائل الاسكندرية بعد ماذكر شنيع مقالاتهم وزيف ترهاتهم : ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

رد بعض المزاعم فى فضل الولاية وختمها وحقيقة النبوة

مقام النبوة فى برزخ   فويق الرسول ودون الولى

ويقولون أن ولاية النبى أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ، ثم قد يدعي أحدهم أن ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الأنبياء والرسل من حيث ولايتهم (التى) هى أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم انما يستفيدون العلم بالله الذى هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء ، وشبهتهم فى أصل ذلك ان قالوا

الولى يأخذ عن الله بغير واسطة والنبى والرسول يأخذ بواسطة ، ولهذا جعلوا ما يلقى فى نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبات الالهيةوالمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران عليه السلام ، قال وهى فى الحقيقة ايحاءات شيطانية ووساوس نفسانية (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) ولو هدوا لعلموا أن أفضل ما عند الولى ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه ، وأن أفضل الاولياء الصديقون وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « قد كان قبلكم فى الامم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فعمر » وفى الترمذى « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » وقال « ان الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه » ومع هـذا فالصديق الذى تلقى من مشكاة النبوة مطلقا أفضل لأن مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطأ ، ولهـذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة ، وقال أبو مجلز فى قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان يسأل منازل الانبياء . ثم تكلم على زعمهم ما زعموا فى خاتم الاولياء وان هذه كلمة لا حقيقة لفضلها ومزيتها وانما تكلم أبو عبد الله الحكيم الترمذى بشىء من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن تقى يكون وليس ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضـل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبوبكر ثم عمر رضى الله عنهما كما يأتى اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء كمـا يأتى فأقربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله تعالى أرسله بالرسالة لم يحله على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر فى وجوب كونه أفضل من أفسد القياس . وقال شيخ الاسلام روح الله روحه فى مكان آخر فى التنكيت على من جعل خاتم الاولياء أفضل من الرسل والانبياء : وزعم هؤلاء أن الرسل جميعهم والانبياء يستفيدون علم المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذى جعلوه خاتم الاولياء وجعلوه أفضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وأنه يأخذ عن الاصل من حيث

يأخذ الملك الذى يوحى الى خاتم الرسل فان خاتم الرسل انما هو سيد فى الشفاعة فسيادته فى هذا المقام الخاص لا على العموم ، قال هؤلاء وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولى الخاتم حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من (حيث) كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه يعنى من الحقيقة والعلم بالله ومعرفته الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا يناقض ما ذهب اليه هؤلاء فى مايزعمون، قالوا فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . وذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الترهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وناقشهم عليها مناقشة تامة ، ولا يخفى على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم فى بعض فى الجملة والله تعالى الموفق

فصل فيما يجب ويجوز ويستحيل فى حق الانبياء (ص)

((فصل
فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل فى حقهم))

قد تقدم فى أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكورة والحرية والقوة على أعباء ما حملوه ونحو ذلك وذكر هنا ما يجب اعتقاده فى حقهم

((وان كل واحد منهم سلم   من كل مانقص ومن كفرعصم))
((كذاك من افك ومن خيانه   لوصفهم بالصدق والامانه))

((و)) هو ان يعرف كل مسلم ((أن كل واحد منهم)) أى من الانبياء الكرام والرسل العظام ((سلم)) وتنزه ((من كل ما)) زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه ونزهوا عنه ((نقص)) يؤدى الى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الازراء والخسة كسرقة لقمة وتطفيف بحبة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدى الى الازدراء والدناءة لأن الله تعالى يقول (لقدكان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)وقال

يأخذ الملك الذى يوحى الى خاتم الرسل فان خاتم الرسل انما هــو سيد فى الشفاعة فسيادته فى هذا المقام الخاص لا على العموم ، قال هؤلاء وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولى الخاتم حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالتــه ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من (حيث) كونهم أوليــاء لا يرون ما ذكرناه يعنى من الحقيقة والعلم بالله ومعرفته الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعـا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا يناقض ما ذهب اليه هؤلاء فى مايزعمون، قالوا فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى • وذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الترهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وناقشهم عليها مناقشة تامة ، ولا يخفى على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحــابة فالاولياء وان دخل بعضهم فى بعض فى الجملة والله تعالى الموفق

فصل فيما يجب ويجوز ويستحيل فى حق الانبياء (ص)

((فصــل

فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل فى حقهم))

قد تقدم فى أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكــورة والحرية والقوة على أعباء ما حملوه ونحو ذلك وذكر هنا ما يجب اعتقاده فى حقهم

((وان كل واحد منهم سـلم   من كل مانقص ومن كفرعصم))
((كذاك من افك ومن خيانه   لوصفهم بالصـدق والامانه))

((و)) هو ان يعرف كل مسلم ((أن كل واحد منهم)) أى من الانبياء الكرام والرسل العظام ((سلم)) وتنزه ((من كل ما)) زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه ونزهوا عنه ((نقص)) يؤدى الى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الازراء والخسة كسرقــة لقمة وتطفيف بحبة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدى الى الازدراء والدناءة لأن الله تعالى يقول (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)وقال

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك وليس فى شىء من فعل ما يزرى مايوجب حب الله ولا حسن التأسى والاقتداء فى ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب ((و)) ان كل واحد منهم ((من كفر)) بجميع أنواعه ((عصم)) قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامى والاعتصام الامتساك بالشىء افتعال منه ومنه شعر أبى طالب * ثمال اليتامى عصمة للأرامل * أى يمنعهم من الضباع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الناس متفقون على أن الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته ؟ هذا فيه قولان ، قال والمأثور عن السلف يوافق القول بذلك ، قال واما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومتنازعون فى العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها أو هل العصمة انما هو فى الاقرار عليها لا فى فعلها ، وقيل لا يجب القول فى العصمة الا بالتبليغ فقط قال وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا ؟ قال والذى عليه الجمهور الموافق للآثاراثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا ، قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم يحصل منه تنفير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما كان أولا ، وكذلك التأسى بهم انما هو فيما أقروا عليه بدليل النسخ ونحوه • انتهى • وقال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين: وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا معصومين فى غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغائر فى الاشهر ، لكن لا يقرون على ذلك ، وقال ابن عقيل فى الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا فى الافعال بل فى نفس الأداء ، قال ولا يجوز عليهم الكذب فى الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى • انتهى • وقال الحافظ زين الدين العراقى :النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك ، ولا بقول من

قال من الروافض بجوازها تقية وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا فمنعه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والقاضي عياض واختاره تقي الدين السبكي قال وهو الذي ندين الله به وأجازه كثير من المتكلمين قال القاضي عياض اجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر والموبقات قال وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا انتهى • وقال العلامة السعد التفتازاني وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في ان امتناعه بدليل السمع او العقل واما سهوا فجوز الاكثرون قال واما الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين شرطوا ان ينهوا عنه فينتهوا منه هذا كله بعد الوحي قال واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لانها توجب النفرة المانعة من اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة قال السعد والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة منهم قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية انتهى •

(تنبيه)

لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلما مؤمنا كما قال ابن عقيل وغيره قال في نهاية المبتدئين قال ابن عقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين سوى الاسلام ولا كان على دين قومه قط بل ولد نبينا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله وعلمه من حاله انتهى وقال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف وقد استدل الامام احمد رضي الله عنه بحديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته » رواه الامام احمد وروى معناه من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه اخر مرسلة وخرج الحاكم ايضا حديث العرباض وقال صحيح الاسناد على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على

قـال مـن الروافض بجوازها تقية وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا فمنعه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والقاضي عياض واختاره تقي الدين السبكي قال وهو الذي ندين الله به وأجازه كثير من المتكلمين قال القاضي عياض اجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر والموبقات قال وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا انتهى . وقال العلامة السعد التفتازاني وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في ان امتناعه بدليل السمع او العقل واما سهوا فجوز الاكثرون قال واما الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين شرطوا ان ينهوا عنه فينتهوا منه هذا كله بعد الوحي قال واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لانها توجب النفرة المانعة من اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة قال السعد والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة منهم قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية انتهى .

(تنبيه)

لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلما مؤمنا كما قال ابن عقيل وغيره قال في نهاية المبتدئين قال ابن عقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين سوى الاسلام ولا كان على دين قومه قط بل ولد نبينا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله وعلمه من حاله انتهى وقـال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف وقد استدل الامام احمد رضي الله عنه بحديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته » رواه الامام احمد وروى معناه من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه اخر مرسلة وخرج الحاكم ايضا حديث العرباض وقال صحيح الاسناد على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على

التوحيد منذ نشأ ورد بذلك على من زعم غير ذلك قال الحافظ بل يستدل بذلك على انه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فان نبوته وجبت له من حين اخذ الميثاق حيث استخرج من صلب آدم فكان نبيا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متأخرة عن ذلك وذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه كمن يولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه متأخرا الى حين مجيء الوقت قال الحافظ قال حنبل قلت لابي عبدالله يعني الامام احمد رضي الله عنه من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل ان يبعث قال هذا قول سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة ان يحذر كلامه ولا يجالس قلت ان جارنا الناقد ابا العباس يقول هذه المقالة قال قاتله الله وأي شيء أبقى اذا زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم لا يعبدون الاصنام قال الله تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) ثم قال الامام احمد رضي الله عنه ماذا يحدث الناس من الكلام هؤلاء أصحاب الكلام من احب الكلام لم يفلح سبحان الله لهذا القول واحتج الامام احمد برؤيا امه النور عند ولادته حتى اضاءت له قصور الشام قال وليس ذلك عندما ولدت رأت ذلك ، وقيل وقبل ان يبعث كان طاهرا مطهرا من الاوثان ثم قال الامام احمد احذروا الكلام فان اصحاب الكلام لا يؤل امرهم الى خير خرجه ابو بكر عبد العزيز في كتاب السنة قال الحافظ ابن رجب ومراد الامام احمد بالاستدلال ٧ بتقديم البشارة بنبوته من الانبياء من قبل خروجه الى الدنيا وولادته وهذا هو الذي يدل عليه حديث العرباض انتهى كلام الحافظ ابن رجب ملخصا وقد صرح فيه بنص الامام ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد على الاسلام والله اعلم .

(كذاك) كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم (من أفك) أي من كذب قال في النهاية الأفك في الاصل الكذب قال في القاموس أفك كضرب وعلم افكا بالكسر والفتح افوكا كذب كافك فهو افاك وافيك وافوك وفي حديث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يأفكه

افكا اذا صرفه عن الشيء والحاصل ان انبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب (و) معصومون (من خيانة) ولو قالت (أ) وجوب (وصفهم) عليهم الصلاة والسلام (بالصدق) الذي هو ضد الكذب (و) وجوب وصفهم بـ (الامانة) التي هي ضد الخيانة والضدان لا يجتمعان فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهو مطابقة اخبارهم للواقع ايجابا وسلبا اذ لو جاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد اجمعت الامة على ان ما كان طريقه الابلاغ فالانبياء والرسل معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز او السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذه حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى : (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره . وفي قصة هرقل مع ابي سفيان كما في الصحيح عند سؤال هرقل عظيم الروم ابا سفيان عن اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب أي على الناس؟قال: لا وان كان ليدعى فينا بالامين فقال : لقد علمت انه لم يكن ليدعي الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيشعر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى : (انا عرضنا الامانة) اي الفرائض المفروضة او النية التي يعقدها فيما يظهره باللسان من الايمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لأن الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما اضمر من التوحيد مثل ما اظهر فقد ادى الامانة كما في القاموس وقال في النهاية : الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان والمراد بها في حق رسل الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة عند بعض العلماء اي كونهم لا يتصوران يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم او مكروه على قول لجا زان يكون ذلك المنهي عنه من حيث انه منهي منه مأمورا به لان الله تعالى امرنا باتباعهم في اقوالهم وافعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى : (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كنكاح ازيد من اربع فتختص بهم دون اممهم وفي الآية الكريمة : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتم منها شيئا فان كتمان ما انزله الله تعالى اليه يناقض موجب الرسالة كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة قال: ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما انزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر بـه .

(تتمة) ذكر ابو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا انه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره وتعظيمه ويراقب حال